أنّة وزفير

للسيدة الفاضلة «ليلى»

[إلى أرواح الشهداء والضحايا ، وإلى المنكوبين ، وإلى أولى الرحمة من أغنيائنا الموسرين ، كلمة من قلب حزين ، بل إني أخاطب الشعب كله ، لعلهم في الأجر العظيم . لتمسح على رؤوس اليتامى ، ولتضمد جروح الثكالى والأيامى ، ولتساعد المهاجرين المشردين ، والله من ورائنا رزاق مبين]

« ليلى »

إن كارثة الإسكندرية من الحوادث الدامية التي تمس شغاف القلب وتتغلغل آلامها في النفس . هي فاجعة الجميع وحسرة الوطن وصرخة الإنسانية . هي العذاب المر والظلم المبين والصاعقة بغير موعد ولا إنذار . هي الخوف والفزع ، والرعب والهلع . هي النار تندلع ، والهوة تبتلع . هي النحيب والعويل ، ودماء الأبرياء تسيل . هي الهول والوحشية . هي أنات وجراح ، وبكاء ونواح . هي ثكل ويتم وفقر وعُدم . هي ذل وتشتيت وضياع وتبديد . هي قسوة ما فوقها قسوة ، ونكبة ما بعدها نكبة . ولئن بكينا فما جدوى البكاء ؟ ولئن أشفقنا فما ثمرة الإشفاق ؟ من ذا الذي لم يشفق ولم يتألم ؟ كلنا والله متحسر ؛ ولكن ليست المساهمة في الرثاء والبكاء ، وإنما هي مساعدة فعلية لهؤلاء الضحايا الأبرياء . أشعروهم بالرحمة ، وليعاونهم كل امرىء بما يستطيع . كم من بيوت كبيرة تسع العشرات ! وكم نساء شريدات حائرات ! أطفال في نعيم ، وأطفال في جحيم . بطون مكتظة بألوان الطعام ، وأخرى خاوية من الجوع لا تنام . ذل فوق ذل وحسرات تتبعها حسرات . . . آه اليتيم : فقد الأب الحاني الرحيم . واحسرتاه للأرملة تنوح من قلب حزين : فقدت المؤمل والمعائل ، واستقبلت الشقاء والهوان ، وفي كنفها أطفال يطالبونها بالقوت والحنان ، ستواجه حاجة العيش الملحة . ستريق ماء الوجه وتستنفد كل إحساسها في سبيلهم . وا رحمة للعجوز الثكلى ، ادخرت ولدها للأيام وكان كل أملها وسند شيخوختها ، فذهب من يدها وغدا حلماً من الأحلام ! ولو كان هماً واحداً لاحتمل ، ولكن الكارثة عامة ، والفاجعة ظالمة : إنه ولد وأولاد وآباء وأمهات ، بيوت وأموال طغى عليها الدمار ، فهرع أهلها فزعين لاجئين يطلبون رحمة المحسنين المتصدقين

أيها السادة الأغنياء ، رحمة بالتعساء الأشقياء ! إنهم إخوانكم في الدين والوطن . حمّ القضاء ، فما استطاعوا له رداً . فوجئوا بالدوي والزئير ، فإذا هم أشلاء تطير . صرخوا يسترحمون القضاء ، فنفذ فيمن نفذ فيهم القضاء ، وهوت الدور بساكنيها وهم في غمرة الذعر والذهول ، وتطايرت الشظايا تهري اللحم وتخزف العظم ، والآلام القاسية تتجاوب أصداؤها من حنايا الأجسام . ومن قدر له النجاة انطوى على نفسه لوعة وحسرة : فقد فقد العزيز والنفيس والتالد والطريف ، هي في الحق كارثة يعجز القلم عن وصفها

فهل تقر أعيننا وتهدأ مضاجعنا ؟ وهل نشعر بالطمأنينة والسعادة ، وتتوفر لنا الغبطة والهناءة ، وصراخ المنكوبين واصل آذاننا ، وبكاء الحيارى المشردين ماثل أمامنا ؟! كيف نرقد على وثير الفراش ومن إخواننا من يفترش الأرض ؟ كيف ننعم بأطايب الأكل والشراب ، وغيرنا يشقى بالجوع والخراب !

أيتها القلوب تفجري بالرحمة ، أيتها الأيادي الكريمة فيضي بالإحسان !

لقد تمنوا الموت على حياة رخيصة عليهم بعد الأحباء ، لقد تمنوه خشية البؤس والإملاق . فمن أحق بالرحمة من مجروح الجسم والفؤاد لا يجد آسيا لجسمه ولا مواسيا لقلبه ؟ ما أحرانا وقد وقانا الله شر ما نالهم بألا نتوانى في مساعدته ولا نحجم عن إعانته ! إنه القرض الحسن يضاعفه لنا الله ويدرأ عنا به الشرور .

إن البر هو الطائر الميمون إلى الجنة ، به تغفر الذنوب وتمحى السيئات . رب لماذا قدرت على هذا البلد الآمن أن يحل به هذا الشقاء ؟ إن شعبه قانع بملك هذه القطعة الصغيرة من أرضك . إنه بلد مضياف تنزله كافة الشعوب على الرحب والسعة يقاسمون أهله أرزاقه ، ويستعملون نطاقه ، بل يقاسمونه قسمة ضيزى : لهم الغنم وعليه الغرم

رباه ! إلى متى يحلم الخالق ويطغى المخلوق !

في الاجتماع اللغوي

اللهجات العامية الحديثة

طوائفها وملامح بعد كل منها عن الفصحى

للدكتور علي عبد الواحد وافي

أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

— ٥ —

لم يصل إلينا عن هذه اللهجات قبل القرن التاسع عشر إلا معلومات ضئيلة، بعضها مستقى من إشارات جاءت في ثنايا كتب القواعد والأدب، وبعضها من أغانٍ شعبية وردت في مقدمة ابن خلدون وتاريخه، وبعضها من كتب ألفت بلغة بين العامية والعربية الفصحى، ككتاب «ألف ليلة وليلة»

ولم يعن العلماء بدراسة هذه اللهجات دراسة جدية إلا منذ القرن التاسع عشر. وقد قسموها إلى خمس مجموعات تشتمل كل مجموعة منها على لهجات متقاربة في أصواتها ومفرداتها وأساليبها وقواعدها، ومتفقة في المؤثرات التي خضعت لها

ألست أنت سبحانك جبار الأرض والسماء؟ أتترك من يعيث في الأرض فساداً، ويقول تكبراً وعناداً: أنا القهار الأعلى. رب رحمة بالبلاد والعباد، فأنت مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء. لتكن رحمتك أو يحل الميعاد، فقد ذهب السلام من الأرض وتناحرت وحوش الإنسانية وتكالبت على المال والعتاد. وهذا جبار طاغية وآخرون طغاة يريدون أن يرثوا الأرض ومن عليها، وللأرض وارث واحد بالمرصاد. اللهم ارحم الفقير والأجير واليتيم والأسير، وادفع عنا شر هذه الحرب الضروس. اللهم اهد الخلق لما فيه الخير والسلام. اللهم خفف عن الحزانى حزنهم، وعن المهاجرين بؤسهم، وعوضهم خيراً عن يتمهم وثكلهم وبيوتهم وما لهم، إنك أنت الرحمن الرحيم، كتبت على نفسك الرحمة، ووعدت بالخير عبادك المتصدقين، والله ولي الجميع

«ليلى»

في تطورها: إحداها مجموعة اللهجات الحجازية — النجدية (وتشمل لهجات الحجاز ونجد واليمن)؛ وثانيتها مجموعة اللهجات السورية (وتشمل جميع اللهجات العربية[1] المستخدمة في سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن)؛ وثالثتها مجموعة اللهجات العراقية (وتشمل جميع اللهجات العربية[2] المستخدمة في بلاد العراق)؛ ورابعتها مجموعة اللهجات المصرية؛ وخامسها مجموعة اللهجات المغربية (وتشمل جميع اللهجات العربية[3] المستخدمة في شمال أفريقيا)

وتشتمل كل مجموعة من هذه المجموعات على طائفة كبيرة من اللهجات؛ وتنقسم كل لهجة إلى عدة فروع؛ وينشعب كل فرع إلى شعب كثيرة تختلف باختلاف البلاد التي تستخدمه. وإليك مثلاً مجموعة اللهجات المصرية: فهي تنقسم إلى مئات من اللهجات، وكل لهجة من هذه اللهجات تنقسم إلى عدة فروع وشعب، تختلف باختلاف البلاد الناطقة بها؛ حتى أنك لتجد بين القريتين المتجاورتين المنتميتين إلى لهجة واحدة خلافاً واضحاً في كثير من مظاهر الصوت والمفردات والتراكيب والأساليب

ومع كثرة وجوه الخلاف بين هذه المجموعات الخمس، فإن المتكلمين بإحداها يستطيعون، مع شيء من الانتباه، أن يفهموا كثيراً من حديث أهل المجموعات الأخرى، لاتفاقها في معظم أصول المفردات وفي القواعد الأساسية ومنحى الأساليب.

وأدنى هذه المجموعات إلى العربية الفصحى مجموعتا اللهجات الحجازية والمصرية. أما اللهجات الحجازية فلنشأتها في المواطن الأصلية للعربية الفصحى، ولأن معظم أهل الحجاز ونجد ينتمون إلى عناصر عربية خالصة. وأما اللهجات المصرية فلأن صراع

---

(١) قيدنا هذه اللهجات بالعربية لإخراج اللهجات غير العربية التي يتكلم بها بعض طوائف في سوريا ولبنان. ومن أشهر هذه اللهجات لهجة منحدرة من الآرامية يتكلم بها إلى الوقت الحاضر في ثلاث قرى سورية، وهي معلولة وصيدنايا وبرود

(٢) قيدنا هذه اللهجات بالعربية لإخراج اللهجات العراقية المنحدرة من أصل غير سامي كاللهجات الكردية والمنحدرة من أصل سامي غير عربي كاللهجات الآرامية التي لا يزال يتكلم بها إلى الوقت الحاضر في بعض قرى في طور عابدين وبعض بلاد في شرق الموصل وشماله وجبال الكرد والشاطىء الشرقي لبحيرة أورميا

(٣) قيدنا هذه اللهجات بالعربية لإخراج اللهجات البربرية التي لا يزال يتكلم بها إلى الوقت الحاضر بعض عشائر في المغرب وخاصة في المغرب الأقصى

العربية مع اللسان القبطي الذي كان يتكلم به أهل مصر قبل الفتح العربي لم يكن عنيفاً ولم تلق في أثنائه اللغة العربية مقاومة ذات بال ؛ ومن المقرر أن اللغة التي يتم لها التغلب بدون كبير مقاومة تخرج من صراعها أقرب ما يكون إلى حالتها التي كانت عليها من قبل [1] . هذا إلى أن معظم أهل مصر منحدر من عشائر عربية الأصل .

وأبعد هذه المجموعات عن العربية الفصحى المجموعتان العراقية والمغربية . أما العراقية فلشدة تأثرها بالآرامية والفارسية والتركية والكردية ، حتى أن قسما كبيراً من مفرداتها وبعض قواعدها غير عربي الأصل ؛ ولذلك يجد المصري مثلاً صعوبة كبيرة في فهم حديث العراقي [2] . وأما المغربية فهي أبعد اللهجات العامية جميعاً عن العربية الفصحى . ويرجع السبب في ذلك إلى شدة تأثرها باللهجات البربرية التي كان يتكلم بها معظم السكان قبل الفتح العربي . فقد انحرفت من جراء ذلك انحرافاً كبيراً عن أصولها الأولى في الأصوات والمفردات وأساليب النطق وفي القواعد نفسها [3]

ولهجات البدو في جميع هذه البلاد أفصح كثيراً من لهجات الحضر ، وأقل منها في الكلمات الدخيلة ، وأدنى منها إلى العربية الفصحى . ولذلك نرى أن لهجات القبائل المغربية النازحة إلى مصر [4] وخاصة العشائر التي لم تبعد كثيراً عن حالتها البدوية القديمة ، أفصح كثيراً من لهجات المصريين ، وأكثر منها احتفاظاً بالأصوات العربية ، وأدق منها في إخراج الحروف من مخارجها . فهي لا تزال محتفظة بأصوات الذال والثاء والظاء التي انقرضت من اللهجات المصرية ؛ وأوزان كلماتها أقرب ما يكون إلى الأوزان العربية الصحيحة ، ويندر أن تعثر فيها على مفرد غير عربي الأصل

ولهجات القرى في جميع هذه المناطق أفصح من لهجات المدن وأقل منها في الكلمات الدخيلة ، وأدنى منها إلى العربية الفصحى . ويرجع السبب في ذلك إلى ميل سكان القرى إلى المحافظة وقلة احتكاكهم بالأجانب

* * *

وعلى الرغم من تعدد لهجات المحادثة في هذه الأمم على الصورة التي وصفناها ، فإن لغة الآداب والكتابة فيها واحدة ؛ وهي تمثل في جملتها اللغة القرشية التي نزل بها القرآن . ولكنها قد تطورت في تفاصيلها تطوراً كبيراً تحت تأثير عوامل كثيرة من أهمها ما يلي :

١ — اقتباس مفردات أفرنجية بعد تعريبها للتعبير عن مخترعات أو آلات حديثة ، أو مصطلحات علمية ، أو نظريات ، أو مبادئ اجتماعية ، أو أحزاب سياسية ... وهلم جرا .

٢ — ترجمة كثير من المفردات الإفرنجية الدالة على معان خاصة تتصل بمصطلحات العلوم والفلسفة والآداب . . . وما إلى ذلك ؛ إلى مفردات عربية كانت تستعمل من قبل في معان عامة . فتجردت هذه المفردات من معانيها العامة القديمة وأصبحت مقصورة على هذه المدلولات الاصطلاحية

٣ — التأثر بأساليب اللغات الإفرنجية ومناهج تعبيرها وطرق استدلالها في المؤلفات العلمية والقصصية والأدبية وفي الصحف والمجلات ...

٤ — اقتباس كثير من أخيلة هذه اللغات وتشبيهاتها وحكمها وأمثالها ... وما إلى ذلك

٥ — إحياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات القديمة المهجورة . فكثيراً ما لجأ الكتاب في البلاد العربية إلى هذه الوسيلة للتعبير عن معان لا يجدون في المفردات المستعملة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً ، أو لمجرد الرغبة في الإغراب أو في الترفع عن المفردات التي لا كنها الألسنة كثيراً . وبكثرة الاستعمال بعثت هذه المفردات خلقاً جديداً ، وزال ما كان فيها من غرابة ، واندمجت في المتداول المألوف

(١) انظر تفصيل هذا القانون وآثاره في كتابنا علم اللغة صفحتي ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٢) قضيت بالعراق بضعة أشهر وطفت بكثير من بلاده ، وما كنت لأستطيع التفاهم بسهولة إلا مع المتعلمين الذين كنت أستخدم العربية الفصحى في حديثي معهم

(٣) من أظهر ما تمتاز به هذه اللهجات من ناحية القواعد أنها تصوغ المضارع المسند إلى جمع المتكلمين على غرار مضارع الغائبين والمخاطبين ، فيقولون « نكتبوا » بكسر فكسر فسكون ؛ كما يقولون على نفس الوزن « يكتبو » و « تكتبو » . وأنها تستبدل النون بهمزة المضارع للمتكلم المفرد وتصوغه في وزن يختلف عن وزن جمع المتكلمين فيقال « نكتب » بكسر فسكون فكسر ، بدلا من « أكتب »

(٤) نعني بها قبائل العرب التي تسكن الفيوم وبني سويف والشرقية والبحيرة ... الخ (الفوايد ، الرماح ، الحرابي ، البراعصة ، أولاد علي ، الضعفاء ، خويلد ، هماليس ... الخ)

اللهجة المالطية

تكلمت مالطة فى العصور القديمة وفاتحة العصور الوسطى لغات كثيرة من أشهرها الفينيقية واليونية (القرطاجنية) . وهكذا شأن جميع البلاد الصغيرة المستضعفة التي ينتمى أهلها إلى عدة شعوب وتقع أرضها فى طريق الغزاة والفاتحين ، فتصبح دولة بينهم ، ويحول ذلك كله دون أن يكون لها كيان وطنى مستقر ، أو قومية واضحة . فجميع البلاد التى من هذا القبيل لا تستقر على لغة واحدة ، بل تتغير فى الغالب لهجتها مع تغير الدولة المسيطرة عليها ، وينال ألسنتها كثير من مظاهر التبلبل لكثرة ما ينتقل إليها من لهجات ، وما يعتور نطقها من أساليب

وآخر لغة انتقلت إلى مالطة كانت اللغة العربية متمثلة فى لهجة من اللهجات السامية المغربية السائدة فى شمال أفريقيا . غير أن هذه اللهجة قد أحيطت بظروف تختلف كل الاختلاف عن الظروف التى أحاطت بسائر اللهجات العربية الأخرى؛ فسلكت فى تطورها منهجاً يختلف كذلك كل الاختلاف عن منهج أخواتها ، وذلك أن انعزالها عن العالم العربى وانتشارها فى بلد مسيحى ، وكثرة احتكاكها باللغة الإيطالية المجاورة لها ، وخضوع مالطة لحكم الإنجليز ، وكثرة من يفد إليها ويمر بها من الأجانب ، وانتماء هؤلاء الأجانب إلى شعوب مختلفة وتكلمهم شتى اللغات ... كل ذلك قد وسّع من هوة الخلاف بينها وبين اللهجات العربية الأخرى ، فبعدت عنها بعداً كبيراً ، وفقدت كثيراً من مقوماتها ، وتأثرت بطائفة كبيرة من اللغات الأوربية وخاصة الإيطالية والفرنسية والألمانية والإنجليزية ، وانتقلت إليها مجموعة كبيرة من مفردات هذه اللغات ، وامتزجت هذه العناصر الدخيلة بالعناصر الأصيلة كل الامتزاج ، فتألف من مجموع ذلك كله مخلوق عجيب فى عالم اللغات ، حتى أن الكلمة الواحدة فيها لتتألف أحياناً من أصلين أحدهما عربى والآخر أعجمى (« ليبيرانا » Liberana أى نجّنا أو خلصنا ، فهى مؤلفة من الفعل الفرنسى Liberer بمعنى حرر أو خلص ، والضمير العربى لجماعة المتكلمين) ؛ ويندر أن نعثر على مثل هذا الخلط فى أية لغة أخرى من لغات العالم[1]

ولا يزال اللسان المالطى ، على الرغم من هذا كله ، محتفظاً بكثير من خصائص اللهجات المغربية التى انشعب عنها . ومن أظهر ما بقى فيه من هذه الخصائص طريقة إمالة الألف المتوسطة فى معظم الكلمات (فكلمة « باب » مثلاً ينطق بها فى مالطة بإمالة الألف على طريقة اللهجات المغربية baibe

واللهجة المالطية هى اللهجة العربية الفذة التى ارتقت إلى مصاف لغات الكتابة . وقد تم لها ذلك فى القرن التاسع عشر . فمنذ ذلك العهد تطبع بها الكتب والصحف والمجلات وتدون بها الرسائل ، وبالجملة تستخدم فى جميع الأغراض التى تستخدم فيها اللغات الكتابة وهى كذلك اللهجة العربية الفذة التى تدون بحروف لاتينية .

ولا تكاد تستخدم هذه اللهجة إلا فى القرى ؛ أما المدن المالطية فمعظم الحديث يجرى فيها بالإيطالية أو الإنجليزية[2] .

على عبد الواحد وافى

ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) يوجد لذلك نظائر فى بعض اللغات الحبشية السامية التى اشتد تأثرها باللهجات الحامية والسودانية ؛ ومن هذه اللغات اللغة الأمهرية

وقع فى المقالة السابقة (عدد ٤١٦ ص ٨١٠ وتوابعها) عدة أخطاء مطبعية لا يخفى منها على القارئ إلا ما ورد فى السطر الخامس عشر من العمود الأول بصفحة ٨١١ ، وصوابه : « ولا من بكر لمجاورتهم لنبط » ، وفى التعليق الأول فى العمود نفسه ، إذ وضعت فيه كلمة « القبط » بدل « النبط »

(٢) انظر فى اللهجة المالطية De-Sácy : Grámmaire Arabe; et Renan : Langues Semitiques 413, 414

ظهر حديثاً كتاب :

الحرب الحديثة

وما تلقيه على مصر والشرق العربى من دروس

تأليف الأستاذ

رياض محمود مفتاح

المحامى

وهو دعوة لمصر والشرق العربى إلى النهوض على ضوء الحوادث العالمية الأخيرة .

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ عدا أجرة البريد